الرشيد

من أسماء الله الحُسنى الرشيد .

صيغة الرشيد.. فعيل ، وصيغة فعيل في علم الصرف تعني المبالغة ، فهناك اسم فاعل ، وهناك اسم فاعلٍ مبالغٍ فيه . تقول مثلاً.. صادق : اسم فاعل ، وصدوق أي كثير الصدق ، فهذا مبالغة اسم فاعل ، بوزن فعول.. أمّا الاسم (الرشيد) فهو على وزن فعيل ، وماذا يعني اسم المبالغة في حقِّ ذات الله عزَّ وجلَّ ؟

يعني شيئين.. فهو يعني عدداً ونوعاً.. فكلُّ أفعال الله عزَّ وجلَّ رشيدة هذا عدد ، والرشيد ؛ إذا وصف الله بهذا الوصف فهو الرُّشد المطلق ، (هذا نوع) فالله عزَّ وجلَّ مطلق ، فعلمه مطلق ، قدرته مطلقة ، رحمته مطلقة ، يجب أن تعلم علم اليقين أنَّ الله سبحانه وتعالى في كلِّ أسمائه وصفاته مطلق .

على حين أن أسماء الإنسان وصفاته نسبية ، قد تقول : هذا القاضي عادل إذا حكم تسعةً وتسعين حكماً من أصل مئة على نحو صحيح ، وهذا الوصف نسبي ، وكلُّ وصفٍ يوصف به الإنسان هو وصفٌ نسبيّ ، وأوصاف الله عزَّ وجلَّ كلُّها مطلقة .

على الأرض يعيش ستة آلاف مليون إنسان ، فإذا ظُلم إنسان واحد فالله سبحانه وتعالى لأنَّه مطلق لا يكون عادلاً ، فقد قال تعالى :

﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾ [الأنبياء : ٤٧] .

وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴾[غافر : ١٧] .

وقال تعالى أيضاً :

﴿ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ [النساء : ١٢٤] .

كذلك قال تعالى :

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوٓا۟ أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ ٱلنَّاسَ كَخَشْيَةِ ٱللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً ۚ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء : ٧٧] .

﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴾ . . ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ . . ولا قطميراً . . ﴿ وَلَا يُظْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾ . . و﴿ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ ﴾ . . ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ﴾ .

الإنسان حينما يؤمن بالله تطمئن نفسه ، فالإيمان بأنَّ الله بيده كلُّ شيء ، وأنَّه فعَّال لما يريد ، وأنَّه في السماء إلهٌ وفي الأرض إله ، وأنَّ كلَّ شيءٍ خلقه وهو عليه وكيل ، فهذا الإيمان يُلقي في نفس الإنسان طُمأنينةً لا يعرفها إلا مَن فقدها ، لأنَّه كما يقال : إنَّ الله يعطي الصحَّة والذكاء والمال والجمال للكثيرين من خلقه ، ولكنَّه يعطي السكينة بقدرٍ لأصفيائه المؤمنين .

إذاً اتفقنا على أنَّ الله في أسمائه وصفاته مُطلق ، فمن أين يأتي الفساد ؟ يأتي الفساد من إنسان أعطاه الله حريَّة الاختيار ، وأمدَّه بقوةٍ فيما يبدو ، فتحرَّك هذا الإنسان بخلاف منهج الله ، ومَثَلُ ذلك : فأنت تعلم أنَّ السكَّر مادةٌ أساسيَّة ، والملح مادة أساسيَّة ، والمنظفات مادة أساسيَّة في حياة كل أسرة . . فإذا وضعت في طعامك النفيس جداً والغالي الثمن مسحوقاً للتنظيف فستلقيه لا محالة ، لأنَّه فسد ، فالمواد التي بين أيدينا كلُّها جيِّدة ورائعة وكاملة ، ولكن سوء استخدام هذه المواد يسبِّب الفساد ، فالزنى ـ مثلاً ـ فساد . فالأصل الزواج ، وكسب المال الحرام فساد أيضاً ، ومعنى ذلك : أنَّ الفساد ليس له وجود أصلي ، بل وجوده طارىء ناتج عن سوء الاستخدام .

فإخواننا الذين يعملون في المركبات يقولون : لو وضع في المحرك كيلو غرام من مادة السكَّر ثمنه ثلاثون ليرة لتعطّل المحرك ولكلّف إصلاحه ثلاثين ألف ليرة ، فالسكر ثمين ، والمحرك ثمين ، ولكن من أين طرأ الفساد ؟ طرأ من سوء الاستخدام ، لماذا أنت بحاجة إلى الدين ؟ من أجل أن يعطيك الله الذي خلق هذه المواد أصول استخدامها . . افعل ولا تفعل ، هذا منهج الله عزَّ وجلَّ .

أنت حينما تستجيب لأمر الله هل تدري ماذا فعلت ؟ أنت تملَّكت خبرة الخبير ، وعلم العليم ، وقدرة القدير ، ورحمة الرحيم ، لأنك تقبل منهج الله ، ولأنك تقبل على تطبيق منهج الله دون أن تشعر فقد تملَّكت خبرة الخبير قال تعالى :

﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴾ [فاطر : ١٤] .

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ . . . وعندما تملَّكت قدرة القدير ، ورحمة الرحيم ، وحكمة الحكيم ، سَهُلَ عليك أن تتحرَّك .

إنسان عظيم وعليه أن يتَّخذ قرارات **هامة** ، **تجد** حوله عدداً كبيراً من الخبراء بالعشرات والمئات يشيرون عليه **أليس كذلك** ؟ ، فيجمع حوله خبراءَ قمماً في تخصصاتهم ، فتجد خبراء **في علم النفس** ، **وعلم** الاجتماع ، والطب ، والهندسة ، والتاريخ ، **والجغرافية** ، والفلك ، والرياضيَّات ، لو أراد أن يتَّخذ قراراً لسأل الخبير **فأعطاه** خلاصة العلم فماذا نقول ؟ هذا الذي استعان بالخبير تملَّك كلَّ علمه .

فأن تُقبل على منهج الله يعني أنك تملَّكت قدرة القدير وأنت لا تدري ، وعلم العليم ، ورحمة الرحيم ، وحكمة الحكيم ، فلذلك أسعد إنسان هو الذي يبحث عن منهج الله ليطبِّقه في حياته ، لن يفاجأ ، ولن يشعر بالإحباط إطلاقاً ، خطُّه البياني صاعد صعوداً مستمراً لأنَّه يتحرَّك وفق خبرة الخبير .

ما في الأرض إنسانٌ على الإطلاق إلا ويتمنّى شيئين : السلامة والسعادة ، والسلامة والسعادة لا تكونان إلا بطاعة الخبير .

فحينما يحبُّ الإنسان ذاته حباً لا حدود له ينطلق إلى طاعة الله فقد قال تعالى :

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٧١] .

ذكر لي أخ واقعة أعجبتني وفيها مفارقة عجيبة . . قال : لي جار مضى على زواجه من زوجته حوالي نصف قرن ، وما نام ليلةً غاضباً على زوجته ، وقد أنجبت سبعة عشر ولداً هم أعلامٌ في المجتمع ،

لأنَّ هذا لما أراد أن يتزوَّج بحث عن امرأةٍ صالحة .

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِي الله عَنْه عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « **تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ : لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا ، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ** » [صحيح البخاري] .

ويبدو أنَّ كَسْبَه كان مالاً حلالاً وأنفقه في طاعة الله فرزقه الله هذه الذريَّة الصالحة .

أمّا المفارقة . . ففي أحد الفنادق الكبرى في دمشق ، خلال ستَّة أشهر تمَّ فيه ستَّة عشر عقد قِران ، فلم يبق من هذه العقود خلال ستَّة أشهر إلا ثلاثة ما زال زواجهم مستمراً ، والثلاثة عشر الأخرى انتهت إلى الطلاق ، وآخر عقد أقيم في هذا الفندق كلَّف فيما سمعت أربعين مليوناً ، وبعد أيام تمَّ الطلاق ، لأنَّ هذا الزواج لم يُبنَ على منهج الله ، فأيُّ زواجٍ بُني على طاعة الله فالله يتولّى التوفيق بين الزوجين ، وأيّ زواج بني على معصية الله فالشيطان يتولَّى التفريق بينهما ، القصد من ذلك أن يكون الإنسان رشيداً .

قال العلماء : الرُّشد هو الصلاح والاستقامة ، والرشد خلاف الغَيِّ والضلال . إنّ الاستقامة تعني . . أن تتحرَّك تحرُّكاً صحيحاً ، أن تصل إلى قصدك النبيل بأسلم الطرق ، ألا تحيد يمنةً ولا يسرة ، فتنحو مناحيَ الغَيِّ . . الانحراف ، والضلال ، والتيه .

والرشيد ـ كما يذكر الإمام الرازي ـ على وجهين أحدهما فعيل بمعنى فاعل ، رشيد أي راشد . . صيغة مبالغةٍ من اسم الفاعل راشد .

والراشد هو الذي له الرشد ، أي يتمتَّع برؤية صحيحة . . بالمناسبة

ما فلسفة الرشد ؟ . . والإنسان متى يكون رشيداً ؟ إذا كان مبصراً ، فأي إنسان لا على التعيين أعطه مصباحاً وضَّاءً وقل له : سر في غابةٍ ليلاً ، فما دام معه مصباح وضَّاء فسيرى كل شيء أمامه ، وهل يعقل أن يقع في حفرةً ؟ لا . بل يحيد عنها ، ولا يعقل كذلك أن يدوس على أفعى تلدغه بل يبتعد عنها ، انطلاقاً من حبِّه لذاته يسلم ، فقضيَّة الرشد أساسها الرؤية . .

وبالمناسبة . . فالنبيُّ عليه الصلاة والسلام قال :

« **الطُّهُورُ شَطْرُ الإِيمَانِ ، وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأُ الْمِيزَانَ ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ للهِ تَمْلأَانِ أَوْ تَمْلأُ مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ، وَالصَّلاةُ نُورٌ ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ ، وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ ، وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ ، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُهَا** » [صحيح مسلم] .

أنت حينما تتصل بالله تطهر نفسك من كلِّ أدرانها . . فالمصلي لا يحقد ولا يتكبر ولا يبخل ولا يظلم . . لأنَّ مكارم الأخلاق مخزونةٌ عند الله تعالى ، فإذا أحبَّ الله عبداً منحه خُلُقاً حسناً .

فأنت خلوق بقدر اتصالك بالله ، ومؤمن لأن رؤيتك صحيحة وقد ألقى الله في قلبك نوراً ، فرأيت الحق حقاً فسلكت طريق الحق فأصبحت رشيداً .

إذا ركب أحد مركبته متوجهاً إلى بلدة ولم يخطىء إطلاقاً فهذا دليل على قراءته للعلامات وللوحات الإرشادية الموضوعة على جوانب الطريق ، وهو قد قرأها واستوعبها وسار وفق توجيهاتها ، فوصل إلى البلد المقصود في أقرب وقت وفي أيسر حال ، إذاً هو رشيد .

الرشد أن تسير مستقيماً دون أن تحيد يمنةً ولا يسرة ، وأن تصل إلى هدفك بأقلِّ جهدٍ وأقصر وقتٍ .

فالرشيد هو الراشد ، والرشيد حكيم ، وقد يلتقي هذا الاسم مع اسم الحكيم من خلال الرؤية الصحيحة .

في ذهني حقيقة هي . . المجرمون حينما يرتكبون الجرائم ، ماذا رأوا قبل أن يرتكبوا الجريمة ؟ رأوا في الجريمة مغنماً ، فالمجرم يتراءى له أنه يقتل ضحيَّته فتختفي معالم جريمته ، ويأخذ هذا المال الكثير . . فقد قتل عدَّة مجرمين صائغاً في بلدة على طريق حمص ، وسرقوا ثلاثة عشر كيلو غراماً من الذهب من محله ، وبعد أقلّ من أربع وعشرين ساعة ألقي القبض عليهم ، وبعد أقلّ من شهرٍ تمَّ إعدامهم في مدينة يبرود ، كانوا يظنون أنفسهم أذكياء ، لأن منهم من يحمل شهادة عليا في الهندسة ، فحينما أقدموا على هذا العمل ماذا رأوا ؟ رأوا أنَّ في هذا العمل مغنماً كبيراً ، وجهداً يسيراً ، وغنىً فاحشاً ، واستمتاعاً بالحياة ، هل تحقق هدفهم ؟ إذاً كانوا ضالين .

فالإنسان حينما ينطلق من حبِّه لذاته ، فعليه أن يتَّصل بالله ، فيُلقي الله عندئذٍ في قلبه النور ، وهذا النور يطهِّر نفسه من الدرن ، ويريه الحقَّ حقاً فيتَّبعه ، ويريه الباطل باطلاً فيجتنبه فيصير بذلك رشيداً . . وإذا كنت رشيداً كنت في أعلى درجات الكمال .

نقرأ بعض الآيات ولو وقفنا عندها وقفة متأنِّية لرأينا العجب العجاب . . قال تعالى :

﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [البقرة : ٢٦٩] .

﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . . هنا الرشد يلتقي مع الحكمة ، الرشد والحكمة يقتربُ بعضُهما من بعضٍ ، أساسهما رؤيةٌ صحيحة ، أساس هذه الرؤية اتصالٌ بالله ، قال تعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . . تذكرت مزارعاً ينمي محصوله بالبيوت المحمية ، والتي إنتاجها غالٍ جداً يبلغ خمسمئة ألف تقريباً ، فلا بدَّ من أن يشتري سماداً لتسميدها ، وانطلاقاً من رغبته في أن يكون النماء على أشده ضاعف كمية السماد خلافاً لتعليمات الشركة الصانعة ، فأصبح النبات في اليوم التالي أسود اللون . . هو أراد أن يربح ، وأراد أن يكثر رزقه فمحق رزقه لأنَّه جاهل ، هل كان رشيداً ؟ لا . أبداً . . ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . .

العلماء قالوا : « إنَّك بالحكمة تصلح الزوجة الفاسدة ، وبالحُمق تفسد الصالحة » ، أنت بالحكمة تكسب المال ، وبالحمق تبدِّده ، أنت بالحكمة ينمو جسمك وتنمو مداركك ، وتعيش سعيداً ، وبالحمق تدمِّرُ ذاتك ، فالحكمة هي الرشد .

أحياناً يقول لك أحد الأشخاص : والله اتَّخذت قراراً هو أكثر قراراتي حكمة ، هذا القرار المصيري قد تُبنى عليه سعادة أبديَّة .

وثاني هذه المعاني أن يكون رشيد بمعنى مفعل . . أي مُرْشِد ، فإما أن يأتي بمعنى راشد ، أو بمعنى مرشد ، راشد صفة ذات ، مرشد صفة أفعال ، الله عزَّ وجلَّ في حقيقة الأمر رشيد بمعنى فعيل ، ومُفعِل ، أي راشد ومرشد . ابنك الصغير ذو إدراك محدود إن يقترب من المدفأة ، يحترق ، وأنت أب قلبك مملوء بالرحمة لن تبتسم وتبقى مكانك دون ضربه! فقد أجاز لك الشرع أن تقطع صلاتَك من

أجل أن تنقذ ابنك ، ماذا في قلب الأب ؟ رحمةٌ صغيرة . . أرحم الخلق بالخلق النبيُّ الكريم ﷺ فقد قال له الله تعالى :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] .

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ ﴾ . . كلُّ هذا القلب الكبير ، وكلُّ هذه الرحمة التي وسعت الخلائق جعلها الله في كتابه نكرةً .

لأن رحمة النبي ﷺ بالنسبة لرحمة الله محدودة ، وفي آيةٍ أخرى قال تعالى :

﴿ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ ﴾ . . وربُّنا الذي خلقنا أرحم بنا ، ورحمته لا حدود لها .

حدَّثني أخ دخل إلى معمله شخص لشراء بعض المنتجات من معمله وهو يبيع ما ينتجة بالجملة ، فطلب منه أربع قطع فقط ، فشعر صاحب المعمل بمهانة من هذا الطلب المتواضع ، فرفض أن يبيعه قائلاً له : لا أبيع بالمفرَّق ، فقال لي هذا الأخ صاحب المعمل : ثلاثون يوماً لم يدخل معملي إنسان ، وكأنَّ الله أدَّبه . . وأرشده ؟

رشيد يرشد بقرآنه فقد قال تعالى :

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ [النور : ٣٠] .

هذا إرشاد بالآيات . . ويرشد بحديث نبيِّه ﷺ فقد قال تعالى :

﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم : ٣ـ٤] .

ورد في الأثر : « **النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس. . . من ملأ عينيه من الحرام ملأهما الله من جمر جهنَّم. . . من غضَّ بصره عن محارم الله أورثه الله حلاوةً في قلبه إلى يوم يلقاه** » .

فالله مُرشد ، قد أرشدنا إلى طاعته من خلال حديث نبيِّه .

والله مُرشد بأفعاله . . أعرف رجلاً يسكن في أحد أحياء دمشق ، وهو موظَّف ولديه أبناء شباب وفتيات كلُّهنّ متزوجات . . فهو جَد . . له هواية أن يسير في عصر كل يوم على طريقٍ في دمشق ممتلىء بالكاسيات العاريات الغاديات الرائحات ، وليس له هواية غير ذلك فينزل من المزَّة إلى طريق الصالحيَّة ثم يرجع إلى بيته بعد أن يمتِّع عينيه بمنظر الحسناوات ، أصيب بمرض وهو من أغرب الأمراض واسمه ـ ارتخاء الجفون ـ فصار من أجل أن يرى يُمسك جفنه بيده فإذا تركه عاد جفنه مغمضاً ، . . فالله عزَّ وجلَّ يرشد بالقرآن ويرشد بالسنَّة ، ويرشد بالفعل فيؤدِّبه . . أحياناً يريه مناماً مخيفاً .

إذاً المعنى الأول : . . رشيد بمعنى راشد ، أي حكيم ، والثاني : رشيد بمعنى مرشد يرشد عباده إلى الصواب .

لا يمكن لإنسان منحرف إلا أن يرشده الله عزَّ وجلَّ بطريقةٍ أو بأخرى ، وكلَّما ارتقى الإنسان فهناك إرشاد بياني وهو أرقى شيء ، كأن تستمع إلى خطبة ، وتقرأ القرآن ، وتقرأ الحديث . . كحديث :

عَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّ رَجُلاً يَنُمُّ الْحَدِيثَ فَقَالَ حُذَيْفَةُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ : « **لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ** » [صحيح مسلم] .

فتتعوَّذ بالله من أن تنمَّ وتمتنع عنها إن كنت وقعت فيها ، وهذا هو

أرقى أنواع التعليم ، أن تتلقى من الله بياناً ؛ قرآناً ، أو من النبيِّ ﷺ سُنةً ، أو من عالمٍ توجيهاً فترتدع .

ولدينا إرشاد من نوع آخر . . إرشاد تأديبي عن طريق مشكلة ، أو مصيبة .

ولدينا نوع ثالث من الإرشاد . . وهو إكرام استدراجي .

والإرشاد الرابع . . هو القصم .

أربع مراحل . . الدعوة البيانيَّة أكمل شيءٍ فيها أن تستجيب إلى الله عزَّ وجلَّ ، التأديب التربوي أكمل ما فيه أن تتوب إلى الله ، والإكرام الاستدراجي أكمل ما فيه أن تشكره وتتوب ، فإن لم يُجدِ معك لا البيان ، ولا التأديب ، ولا الإكرام ، إذاً لا بد من القصم فيهلكه الله . . ﴿فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ﴾ . . كما قال تعالى :

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنعام : ٦] .

إرشاد الله تعالى يرجع إلى هدايته قال تعالى : ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه : ٤٩ـ٥٠] .

﴿ثُمَّ هَدَىٰ﴾ . . هدى إلى ماذا ؟ عندنا أربعه أنواع من الهداية :

فالإنسان هداه الله تعالى أولاً إلى مصالحه ، فالطفل يولد دون أن يكون عنده أيَّةُ مهارة على الإطلاق . . وهذا مما يدرَّس في الجامعة وتعلَّمناه . . إلا منعكساً واحداً ولولا هذا المنعكس لما كنَّا في هذا المسجد بل لما عاش من أحد ، وهو منعكس المص وهذا المنعكس شديد التعقيد ، فالطفل يضع شفتيه على حُلمة ثدي أمِّه ويحكم

الإغلاق ويسحب الهواء فيأتيه الحليب ، وهو قد ولد على التو واللحظة ، فلولا هذا المنعكس لمات المولود علي الرغم من أنّ ثدي أمّه ممتلىء بالحليب ، ولكنه لا يستطيع الرضاع ، فهل تستطيع أن تعلم هذا المولود كيف يرضع من ثدي أمه ؟ أجل إنه يرضع عن طريق المنعكس الذي أودعه الله فيه ، وما سوى هذا المنعكس فكلُّه يأتي بالتدريج .

فالله عزَّ وجلَّ هدانا إلى مصالحنا ، إذا رأيت راكباً لدرَّاجة فكيف يستقيم عليها دون أن يقع ؟ لوجود جهاز التوازن بالأذنين ، وهو ثلاثة أقواس فيها أهداب وسائل فعندما يميل إلى جهة ما فالسائل الموجود في الأذن يرتفع فيمس هذه الأهداب فيتنبَّه فيعدل الراكب عن طريق جسمه توازنه ، ولولا هذه القنوات الثلاث لما استطاع إنسان أن يركب درَّاجة ، فلو مال قليلاً لوقع .

ألاحظ في بعض المحالِّ التجارية وجود تماثيل لتعليق الألبسة عليها ، انظر إلى قاعدة التمثال تجدها سبعين أو ثمانين سنتيمتراً ، فهي قاعدة استناد عريضة جداً وإلا لوقع التمثال ، فانظر إلى رجليك ما ألطف حجمها! . . فلو كانت الأرجل كبيرة مثل خف الجمل ولبست حذاء يزن خمسة كيلو غرامات ، لأصبحت الحياة غير معقولة أن يمشي برجل تزن خمسة وعشرين كيلو غراماً ، فإذا مشى في الطين وحمل حذاءه بعض الطين يشعر كأنَّه يقوم بأعمال شاقَّة ، فلولا هذه القنوات الدائرية بالأذن لاضطر إلى أقدام ذات قاعدة استناد عريضة جداً ليستطيع الوقوف ، ومن أجل أن يستقر فلا بدَّ من قاعدة عرضها من سبعين إلى ثمانين سنتيمتراً ، أما قدما الإنسان فلطيفتان .

الله هداه إلى توازنه ، هداه إلى طعامه ، هداه إلى شرابه ، فإذا دخلت نقطة من الماء وهو يشرب إلى الرئة يسعل لإخراجها ، فأساس السعال حركة تشنجيَّة تدفع الأجسام الغريبة والسوائل التي في القصبة الهوائيَّة إلى الأعلى ثم إلى الخارج ، وبهذه المناسبة فإنّ عادة التدخين مضرة وهذا الدخان الذي يستنشقه شاربه يشلُّ هذه الأهداب ، فالنيكوتين الموجود في هذا الدخان يشلُّ فاعلية الأهداب الموجودة في القصبة الهوائيَّة التي خلقت من أجل طرد الأجسام الغريبة . . فهذه هي الهداية الأولى قد هداك الله إلى مصالحك .

الهداية الثانية . . هداك إليه عن طريق الوحي ، فقد أرسل الرسل وأنزل القرآن ، والرسل تكلَّموا .

أما الهداية الثالثة . . فهي هداية التوفيق ، فأنت حينما أردت أن تكون مؤمناً هداك الله ، فقد قال تعالى في سورة الكهف : ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف : ١٣] .

والهداية الرابعة . . إلى الجنَّة . . ، إذاً فالهدايات أربع : هداية المصالح . . وهداية الوحي . . وهداية التوفيق . . وهداية إلى الجنَّة . . هذه هي الهداية بأنواعها وهي منّة من الله تعالى .

معنى رشيد أي راشد ، حكيم ، معنى رشيد أي مُرشد . . يرشد عباده إلى سُبُل السلام إلى سعادتهم ، إلى نجاتهم .

بعض العلماء يرى أنَّ الرشيد هو الذي تساق تدبيراته إلى غاياتها ، من غير إشارة مشير ولا تسديد مُسدد .

فقد تسلك أحياناً طريقاً تصل به إلى الهدف لكنَّك تستعين بإشارات المرور ، واللوحات الفوسفوريَّة والأسهم وما يكتب عليها من أسهم

تشير إلى أين ، أو المرور ممنوع ، أو المنعطف خطر ، ثم إنك وصلت إلى هدفك بسلامة ، ولكنَّك بعد أن استعنت بإشارات كثيرة .

أما إذا قلنا الله رشيد فقد قال العلماء : هو الذي تساق تدبيراته إلى غاياتها ، من غير إشارة مشير ولا تسديد مُسدد . . أيْ حركة ذاتيَّة صحيحة ، وهو الله تعالى . . هو الرشيد .

وقيل : الرشيد الذي أسعد من شاء بإرشاده ، وأشقى من شاء بإبعاده ، رشيد أرشدنا إلى محبَّته .

ذهب شخص إلى بلاد الهند ، ونزل في أحد الفنادق ، فاستيقظ في الصباح الباكر على جلبة وضجيج ، فسأل عن السبب فعرف أن هناك جنازة ، فنظر فوجد نعشين ، أحد النعشين عليه امرأة مسجَّاة على خشب وتتحرَّك ، فسأل عن ذلك فقيل له : إنَّها زوجة الميت ولا بدَّ من أن تُحرق معه ، هذا في ديانتهم إن مات الزوج يجب أن تُحرَقَ جثته ، وكذلك ينبغي أن تُحرق الزوجة معه ، أما إذا ماتت الزوجة فيحق له أن يتزوَّج غيرها . . فهل هذا دين ؟ الله هدانا إلى دين قويم وأرشدنا إلى دينه ، وهذه من أكبر النعم .

وهناك تدخل بقرة إلى دكان للفواكه فتأكل كل ما لذَّ وطاب ، وبعض أنواعها يصل سعرها إلى مئتي ليرة ، وصاحب المحل سعيدٌ أشدَّ السعادة بما يحدث ، فقد دخل إلى محله إلهه ليأكل وهذا شيء عظيم عندهم . . سبعمئة وخمسين مليوناً هذا دينهم ؟ وفي يوم العيد يضعون على أثاث البيت روث البقر وبول البقر كالعطر ، فبول البقر عطرهم ، وروث البقر حلواهم .

الله مُرشد أرشدنا إلى دينه ، أرشدنا إلى نبيِّه ﷺ ، أرشدنا إلى

الحقيقة ، أرشدنا إلى ذاته ، أرشدنا إلى محبَّته .

في إحدى المجلات الفرنسيَّة تحقيق عن طائفة في الهند أفرادها يعبدون الجرذان ، معبد فخم جداً وشاهق الارتفاع وبه زخارف وأحجاره منحوتة وبداخله أكثر من خمسمئة جرذ ، وأتباع هذا المذهب يأتون إلى هذا المعبد ، وتقف الجرذان على رؤوسهم ، وتقفز فوق أكتافهم ويأكلون معهم في صحن واحد .

الله عزَّ وجلَّ أرشدنا إلى ذاته ، وينبغي أن نعلم أنه . . ما من سعادةٍ أعظم من نعمة الهُدى ، فأنت تعرف الله ، ولماذا أنت في الدنيا ، تعرف ماذا بعد الموت ، فبعد الموت جنَّة عرضها السموات والأرض .

يقول بعض العارفين : « **الرشيد هو المتَّصف بكمال الكمال ، عظيم الحكمة ، بالغ الرشاد الذي تتجه تدبيراته إلى غاية الصواب والسداد ، والذي يرشد الخلق ويهديهم إلى ما فيه صلاحُهم ، الرشيد يوجِّههم بحكمته إلى ما فيه خيرهم ورشادهم في الدنيا والآخرة** » .

قولٌ آخر : « **الرشيد هو الذي أسعد من شاء ، وأرشد الأولياء إليه ، فلا سهوَ في تدبيره ولا في تقديره ، وهو الموصوف بالعدل ، والمتجلِّي بالفضل** » .

والرشيد هو الذي يُلهم أهل الرُّشد إلى طاعته ، والذي أرشد الخلائق إلى هدايته ، ذو الحبل الشديد والأمر الرشيد .

هذا الاسم ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ [الكهف : ١٠] .

﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ . . الرَّشَد والرُّشد من رَشَدَ راشد رشيد . . رَشَدَ ورُشْد مصدران ، والفعل رَشَدَ يَرْشُدُ ، وراشد : اسم فاعل ، رشيد بمعنى راشد أو مرشد .

الآية الثانية قال تعالى :

﴿ ۞ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ [الكهف : ١٧] .

﴿ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ . . من يضلل نفسه عن الله ، لن تجد له ولياً مرشداً .

فمثلاً . . كل التوجيهات في الجامعة ، الخبراء والأطباء والعلماء فإذا ترك طالب الجامعة واتجه إلى الملعب ، هل يُعقل أن يجد في الملعب مرشداً ؟ المرشدون في الجامعة . . فإذا الإنسان أضلَّ نفسه عن الله فقد المرشد ، إذا إنسان ترك المدرسة فَقَدَ المُعلِّم ، ترك المشفى فقد الطبيب ، ترك المحكمة فقد القاضي ، ترك بيته فقد المأوى ، أليس كذلك ؟ ﴿ وَمَن يُضْلِلْ ﴾ أي أضلَّ نفسه عن الله ﴿ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴾ .

والإنسان يكون رشيداً بقدر اتصاله بالله ، فاتصاله بالله يكسبه نوراً والدليل على ذلك قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحديد : ٢٨] .

آيةٌ ثانية قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ

سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الأنفال : ٢٩] .

﴿ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ . . تُفرِّقوا به الحقَّ من الباطل .

من أدعية النبيِّ ﷺ : عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : سَمِعْتُ نَبِيَّ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَيْلَةً حِينَ فَرَغَ مِنْ صَلاتِهِ : « **اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي ، وَتَجْمَعُ بِهَا أَمْرِي ، وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي ، وَتُصْلِحُ بِهَا غَائِبِي ، وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي ، وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي ، وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي ، وَتَرُدُّ بِهَا أُلْفَتِي وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَاناً وَيَقِيناً لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ ، وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ فِي الْعَطَاءِ ، وَنُزُلَ الشُّهَدَاءِ ، وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ ، وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ** » [سنن الترمذي] .

هذه رحمة الله :

﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ [آل عمران : ١٥٧] .

دعاءٌ آخر . . اللهمَّ هذا الدعاء وعليك الإجابة ، وهذا الجُهد وعليك التُّكْلان ، وإنا لله وإنا إليه راجعون ، ولا حول ولا قوَّة إلا بالله العليِّ العظيم ، ذي الحبل الشديد ، والأمر الرشيد .

فإذا كنت مع الرشيد فلن تضلَّ أبداً . . لن تُخطىءَ لأنَّك مع التوجيه الإلهي ، مع الخبير ، ولا ينبِّئك مثل خبير .

قال تعالى :

﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٧ـ ٨] .

فالراشد هو الذي عرف الصواب من الخطأ فاتَّبع الصواب ، وتحرَّك نحو الهدف بأقلِّ جهدٍ وأقلِّ وقت ، سار إلى هدفه مستقيماً ، هذا معنى الراشد .

نرجو الله سبحانه وتعالى أن ينفعنا بما علَّمنا ، وأن يُلهمنا الخير والصواب والرشاد .

* * *